هو العليم

لقاء الله تعالى يحصل نقدًا لا نسيئة

شرح دعاء أبي حمزة الثمالي – سنة ١٤٣٥ هـ ق – المحاضرة الخامسة

محاضرة ألقاها

آية الله الحاجّ السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

قدس الله سره

@MadrastAlwahy

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

«وَأَنَا يَا سَيِّدِي عَائِذٌ بِفَضْلِكَ هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ متنجِّزٌ مَا وَعَدْتَ مِنَ الصَّفْحِ عَمَّنْ أَحْسَنَ بك ظنًّا»

أي: يا مولاي، لقد عذت ـ وأعوذ ـ بفضلك وكرمك، وأهرب منك نحوك، وأنا بالنسبة لما وعدت به من العفو والإغماض عن الأشخاص ـ الذين أحسنوا الظنّ بك ـ متنجّز ومطمئنّ ومتمسّك ومصدّق؛ فهذه العبارات هي بمعنى واحد.

تركيز الإمام السجّاد عليه السلام على صفة الفضل

حسنًا، تحدّثنا في الليلة السابقة عن المراد من هذه الفقرة: "وأنا يا سيّدي عائذ بفضلك"؛ فلماذا لم يقل: أعوذ بعدلك؟ أليس اللَه عادلاً؟! ولماذا علينا أن نلجأ إلى اللَه بهذه الصفة؟ وأن نستمسك بفضل اللَه في أمورنا، ولا نذهب إلى عدل اللَه؟ لأنّنا نعلم بأنّ اللَه تعالى عادل، ويضع كلّ شيء في موضعه؛ فإن أحْسَنَ شخصٌ، أثابه، وإن أساءَ، عاقبه! هذا هو معنى العدل.

حسنًا، إذا كان مقرّرًا أن يكون الأمر كذلك، فلنلجأ إلى عدل اللَه، ولننظر إلى جانب العدالة في اللَه تعالى! لأنَّ اللَه تعالى لديه صفات مختلفة؛ فهو عادل، وهو قاهر، وقهّار، وذو كبرياء ولديه أيضًا رأفة وعطف، ورحمة ورحيميّة.. لديه صفات مختلفة! {وَلِلَّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها}[1]؛ أي: اسألوا اللَه تعالى بهذه الأسماء وادعوه بها، فكلّ اسم يترشّح منه عمل خاصّ وأثر معيّن؛ ولا يخفى أنّ لأرباب الذكر والورد هنا اهتمام خاصّ بأسماء

---

[1] سورة الأعراف (٧)، مقطع من الآية ١٨٠.

اللَه، حيث نجدهم يستفيدون من الآثار المختلفة لأسماء اللَه بحسب اختلاف الحالات والمسائل؛ فلكلّ اسم من هذه الأسماء خاصّية معيّنة، وله جهة معيّنة وأثر خاصّ، وحتّى أنّ إضافة حرف واحد ـ كالواو ـ في ذكرٍ أو وردٍ ما سوف يُؤدّي إلى تغيير الأثر المترتّب على ذلك الذكر؛ أي أنّه إلى هذه الدرجة يفرُق الأمر؛ وسنُشير إن شاء اللَه تعالى ببعض التفصيل إلى الشروط المرتبطة بهذه المسألة عندما نصل إلى الحديث عن مسألة الذكر في جلسات عنوان[1] إذا صار لدينا مجال ووفّقنا لذلك، ونبيّن هناك ـ ضمن حدود الاستعداد وما تسمح به الظروف ـ خصائص الأسماء والآثار المترتّبة على هذه الأذكار والأوراد، وأنّه لا يمكن للإنسان أن يشتغل بنفسه بأيّ ذكرٍ وورد، ويعمل به من تلقاء نفسه؛ وسوف يأتي الحديث عن هذه الأمور في محلّها إن شاء اللَه تعالى.

فمن بين العدل والفضل، نجد أنّ الإمام السجّاد عليه السلام يُركّز على مسألة الفضل؛ أي: يا سيّدي ومولاي،

---

[1] لمراد منها جلسات شرح حديث عنوان البصري الشريف. المترجم

أنا أريد التعامل معك من خلال فضلك لا عدلك؛ فإنّك وإن كنتَ عادلاً وتُثيب المحسنين على إحسانهم، لكن لا علاقة لي بعدلك؛ فصحيح أنّك عادل، لكنّ هذه العدالة مختصّة بك أنت! وهذا نظير أن نقول بأنّك قهّار؛ فهل لأنّك قهّار، علينا أن نخاطبك بهذه الصفة؟ لا، فقهّاريتك محفوظة في محلّها، غير أنّه لا علاقة لنا نحن بها، فلا نسعى نحوها ولا نقترب منها، وهي مختصّة بمجموعة أخرى من الأشخاص، وبمخلوقات أخرى وموجودات مغايرة.. والحاصل، أنّه هناك من تتعامل معهم بهذه الأسماء، وأنت أعلم بذلك منّا! إذ لدينا العديد من أمثال ابن زياد ويزيد والشمر في كلِّ زمان، فاستعمل قهّاريتك واستخدمها في أمثال هؤلاء، وأمّا نحن، فلا نريد أن نقترب من هذه الأمور! وكذلك الأمر بالنسبة لغضبك وطردك وإبعادك وعدم التفاتك وغير ذلك؛ فهذه صفات لا نحبّ أن تُعاملنا بها، ولم يُجوَّز لنا مخاطبتك بها! ويبقى أنّه هناك أشخاص في هذه الدنيا تنفعهم مثل هذه الصفات.

الفارق بين الأولياء وغيرهم في النظر إلى الدنيا وكيفيّة تعلّق التكاليف بالإنسان

رحم اللَه المرحوم العلاّمة، فقد كان يقول: اتركوا الدنيا لأهلها! لا تذهبوا وراء الدنيا، وماذا فعل هذا، وماذا فعل ذاك! ففي النهاية، يوجد في الدنيا أشخاصٌ يوقفون أسماعهم على ما يجري هنا وما يجري هناك، وهذا ارتفع وذاك هبط، وهذا وصل إلى هذه المسؤوليّة وذاك عُزل عن تلك المسؤوليّة! فهناك أشخاص يهتمّون بهذه الأخبار ويستفيدون منها، فيكون الاستماع إلى الراديو والتلفزيون مفيد لأمثال هؤلاء! وأمّا أنتم، فلا تشغلوا فكركم كثيرًا بهذه الأمور؛ لأنّ لها أهلاً، وهم ليسوا بالقليلين! بل هناك إلى ما شاء اللَه.. فاللَه خلق خلقًا لمثل هذه الأمور:

متاع كفر ودين بی‌مشتری نیست * گروهی این گروهی آن پسندند**

[هناك زبائن لكلّ من متاع الكفر والدين، فبعضهم أَنِسَ بهذا وبعضهم بذاك]

فلا تتصوّروا أنّكم لو مشيتم في هذا الطريق، فإنّ الناس سيبقون بلا أثر ولا عمل ويكون خلقُهم من دون نتيجة، لا، بل هناك الكثير الذين يقومون بهذه الأمور إمّا نيابةً عنكم أو وكالة أو ولاية ـ بأيِّ شكل من الأشكال التي تتصوّرونها ـ. فكان المرحوم العلاّمة يقول: اذهب وراء الأمر الذي لا يسعى الآخرون خلفه! فهنا يوجد العديد من الأشخاص الذين يجدون في أنفسهم الكفاية للقيام بمثل هذه المسائل والأمور.

متاع كفر ودين بی‌مشتری نیست * گروهی این گروهی آن پسندند**[1]

فمن المؤسف أن يقضي الإنسان هذه الأيّام المعدودة من الدنيا وهذه الأنفاس ـ التي تأتي وتذهب ـ بذهن مشوّش، ويصرفها في التخيّلات والتصوّرات المرتبطة بالأمور اليوميّة!

ذهبت يومًا إلى منزل أحد الأقارب، وكان قد دعانا في الظهيرة، وقد مضى وقت على الظهر، وكان هناك شخص

---

[1] تمّت ترجمته سابقًا. المترجم

لم يصلّ بعد، ويريد أن يصلّي، ولكنّه يخشى أن تفوته أخبار الساعة الثانية إن هو شرع بالصلاة، حيث كانت تشتمل على أخبار الرياضة وغيرها؛ ولهذا كان عليه أن يرى أوّلاً ما الذي جرى، ويستمع للأخبار حتّى يُمكنه أن يصلّي بحضور قلب! وهكذا بقي حاملاً تربة الصلاة في يده، ونحن ننظر إليه؛ لا هو يضع التربة على الأرض ويصلّي، ولا هو يضعها في مكانها...! اجلس يا عزيزي! فإن كان خبر رياضي أهمّ عندك من الارتباط باللَه، فهل أنت مجبر حتّى تحمل التربة هكذا، وتنظر إلى الأخبار متى تبدأ، ومن الذي يرمي الكرة إلى ذلك المرمى؟!! عجبًا من هذه الدنيا، وعجبًا من هؤلاء الأشخاص البطّالين!

نحن الآن نضحك من هذا الكلام، لكن ـ بحقّ ـ هل هذه المطالب صحيحة، أم لا؟ هل هي موجودة، أم لا؟ أي فيما يخصّ العلاقة باللَه والتوجّه إليه؛ فحينما يُقال لنا ثمّة هناك أمور، فإنّ ذلك ليس عبثًا!

عندما كان يحين وقت الصلاة، وكان يأتي رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله، كان الناس يرون تغيّراً في وجهه وهو

يترقّب حلول وقت الصلاة: بقيت ربع ساعة على حلول وقت الظهر، بقيت عشرون دقيقة على ذلك! وكان يُديم النظر إلى الشمس، ليرى هل وصلت إلى الزوال، ومتى يحلّ وقت فتح أبواب الورود إلى حريم الله! ومتى يُفتح الطريق أمام توجّه الناس نحو الله! فهذا الذي يعنيه ذلك.. يعني: أيّها الناس، اصبروا، فبعد ربع ساعة، سوف تُشرّع الأبواب ويُفتح الطريق، وبعد ربع ساعة سيحلّ وقت تلك الدعوة!

لقد كان هؤلاء العظماء وهؤلاء العرفاء والأولياء ينظرون إلى هذه المسائل بهذا الشكل؛ فكانوا ينتظرون فتح الباب، وكانوا ينتظرون إرسال الدعوة الإلهيّة، عند الظهر وعند المغرب وعند الصبح وعند العصر وعند العشاء، فكانوا ينتظرون وصول الدعوة الإلهيّة.. فحتّى الآن لا توجد دعوة، فقبل الظهر لا دعوة، فكانوا ينتظرون وصول الدعوة إليهم، ووصول إذن الدخول من قِبل الله تعالى إليهم.. لقد كان هؤلاء ينظرون إلى الصلاة بهذا النحو، لكن ماذا عنّا نحن؟ إنّ حالنا يُشبه حال الموظّف

الذي يذهب إلى عمله، فيضع بطاقته في جهاز تسجيل الدخول، ليضع له ذلك الجهاز ختماً يدلّ على أنّه دخل إلى العمل [في أوّل الوقت]؛ فنحن نتعامل مع إلهنا مثل تسجيل دخول الموظف: انظر لقد صلّينا! فلتنتبه ملائكتك، ولينتبه نكير ومنكر إلى أنّنا صلّينا، وصلّينا بمقدار عدم دخول وقت القضاء!!

حسنًا، كم يفرُق الأمر؟ إذا تأمّلتم في نفس هذه المسألة، ألا ترون بأنّها تُؤدّي إلى تغيّر فكر الإنسان وذهنه وأسس تفكيره ونظرته إلى كيفيّة تعلّق التكاليف بالناس؟ وذلك بأن ينظر الإنسان إلى الصلاة بهذا الشكل، أو بأن ينظر إليها بشكل آخر فيقول: حسنًا لم يدخل وقت الظهر بعد، ولا زال أمامنا عشر دقائق، فإن تناولتُ قرصًا منوّمًا، ونمتُ أربع أو خمس ساعات، وفاتتني الصلاة، فلا إشكال في ذلك! فالصلاة لم يحن وقتها بعد، ولم يدخل الزوال بعد.. انظروا كم هو الفارق بين الأمرين! فالفارق بين هاتين النظرتين، وهذين الحكمين، وهذين الفتويين، وهذين التكليفين، وهذين النوعين من النظرة إلى كيفيّة

تعلّق الحكم بالعباد هو كالفارق بين السماء والأرض!!!
فكم تختلف المسألة بين ذلك وبين أن يبقى رسول اللَه مترقّباً، وحينما يحلّ وقت الظهر، يرتفع صوته: أرحني يا بلال! أرحني يا بلال من هذه الدنيا ومن الاشتغال بأمورها ـ والتي كانت كلّها للَه وفي سبيل اللَه ـ ! فالنبيّ لم يقل أرحني يا بلال لأنّه تسلّق جدارًا لأحدهم! ولم يقل أرحني يا بلال لأنّه أكل أموال الناس، أو سرق أحدًا أو خدعه أو خانه أو احتال عليه؛ فهو لم يفعل شيئًا من ذلك! بل كان مشتغلاً من الصباح إلى المساء بأمور الناس وخدمتهم، وببيان الأحكام، والموعظة والتبليغ والدين وأمثال ذلك؛ ومع ذلك نجده يقول: أرحني يا بلال! قم يا بلال ونجّني ممّا أنا فيه، قم يا بلال وأنقذني من هذا الارتباط بالناس، والذي مع أنّه كان في طريق اللَه وفي سبيل الدين وتبليغه، إلاّ أنّه يُعدّ مانعًا من الارتباط المباشر باللَه، ومن محضيّة الارتباط الخاصّ به تعالى وتركيز هذا الارتباط؛ ولهذا نراه يقول: أرحني يا بلال،

فأنا أريد أن أتّصل الآن، فقد وصلتني الدعوة الآن، وحان وقتها، وجاءت الدعوة من اللَه!

هذه هي الصلاة التي كان يصلّيها النبيّ، وهي التي تحدّثنا عنها مع الإخوة والرفقاء في السنوات السابقة! [فلاحظوا الفارق بينها وبين] أن يأتي الإنسان، وينظر، فيرى بأنّه هناك شيء عليه القيام به، فيقوم به ويذهب!

مثال على إجراء الله تعالى لعدالته

إنّ المراد من عبارة الإمام السجاد هو: إنّني أريد التعامل معك من خلال فضلك لا من خلال عدلك، وأمّا إذا تقرّر إجراء العدالة، فمورد العدالة هنا: حينما يأتي ذلك الشخص، وينتظر سماع الأخبار، ويفتح التلفاز ليعرف كم كرة دخلت في ذاك المرمى؛ فهنا يأتي اللَه تعالى، ويُجري العدالة، ويقول: حسن جدًّا، أنت لم تجعل لي قيمة الكرة التي تلعب بها، أنا بدوري سألقي بهذه الصلاة ـ التي تصلّيها ـ كالكرة في مرماك.. لا شيء! هذا والحال أنّه حينما يصلي، يجعل إحدى عينيه نحو التلفاز والأخرى نحو تربة الصلاة، حتّى لا يفوته شيء، وخشية أن يفوته خبر، وإلاّ

فسوف تطبق السماء على الأرض! وسوف تنزل صاعقة ويحدث زلزال، وسوف تنقلب الأمور في العالم رأسًا على عقب لعدم سماعه هذا الخبر! إنّ سبب هذا كلّه هو تعاستنا نحن! وكم تردّينا في التعاسة والحيرة حتّى يكون لدينا مثل هذه الأحوال! هذا فيما يخصّ هذا المورد، وهناك موارد أخرى شبيهة به، ونحن اقتصرنا هنا على مثال واحد فقط.

فيأتي اللَه تعالى ليُطبّق العدالة هنا، حيث ورد لدينا في الروايات أنّه: إذا أشرك عبدي غيري في صلاته، وجال فكره في موارد أخرى ـ فنحن نحفظ سورة الحمد والتوحيد عن ظهر قلب، فنقرأها سواء كنّا ملتفتين أم لا! فنجد بأنّه بإمكاننا أن نقرأ سورة الحمد من دون خطأ، ولو مع عدم توجّه! لقد قرأناها إلى حدّ أنّنا تعوّدنا عليها وصارت مرتكزة في أذهاننا ـ فإنّني أرى بأنّ هذا العبد قد صلّى، وأشرك معي غيري في صلاته! حسنًا، فإن أراد الملائكة أن يرفعوا هذه الصلاة؛ أي يعرجون بروحها إلى اللَه تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ

يَرْفَعُه}[1]، بمعنى أنّ الكلمة الطيّبة ـ وهي تلك الحالة المعنويّة والنورانيّة التي حصلت للعبد ـ ترتفع إلى اللَه، وترجع إلى مبدئها، وتتّصل بذلك العالم، وتنتقل من عالم المادّة الذي هو عالم صدور هذه الكلمة الطيّبة إلى عالم التجرّد الذي هو حقيقة هذه الصلاة وهذه الألفاظ وهذا الركوع وهذا السجود؛ وعندما يريد أن يصل إلى هناك هذا العمل الذي أشرك فيه الإنسانُ غير اللَه، حيث كان يفكّر في كرة القدم، ويفكّر في الهدف، ويفكّر في الذهاب إلى منزل عمّته وخالته، ويفكّر في ذاك العمل وبذاك البرنامج، وفي أنّه عليه الذهاب إلى ذلك المكان والتحدّث إلى فلان وو... ثمّ يقول: «**اللَه أكبر، اللَه أكبر**»! لقد ذهب إلى كلّ مكان، وجال في المنظومة الشمسيّة، وفكّر في كلّ شيء، إلاّ في هذا الإله الذي يقف أمامه! ففي هذه الحالة، عندما تريد أن ترتفع هذه الصلاة إلى الأعلى، يقول اللَه لملائكته: لقد أشرك بي هذا الشخص غيري.. هنا تأتي عدالة اللَه! وقد ذكرنا بالأمس أنّ أمير المؤمنين يقول: اللهمّ عاملني

---

[1] سورة فاطر (٣٥)، مقطع من الآية ١٠.

بعفوك ولا تعاملني بعدلك؛ فمن الذي يقول هذا الكلام؟ إنّه أمير المؤمنين الذي يقول ذلك!

يقول اللَه تعالى لملائكته: أنا نِعم الشريك لشريكي،[1] فقد جعل لي شريكًا في هذه الصلاة، وفكّر في كلّ شيء إلاّ فيّ أنا، وخصّني بقوله: «**اللَه أكبر**» فقط! فأنا بدوري أمنح سهمي من الصلاة إلى أولئك الشركاء؛ بما فيهم العمّة والخالة والصديق والكرة والهدف والصاعقة التي ضربت

---

[1] وفيه عن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في الآية قال النبيّ صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم: أنّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: أنَا خَيْرُ شَرِيكٍ؛ فَمَنْ أشْرَكَ مَعِي في عَمَلِهِ أحَدًا مِنْ خَلْقِي تَرَكْتُ العَمَلَ كُلَّهُ لَهُ، ولَمْ أقْبَلْ إلَّا مَا كَانَ لي خَالِصًا. ثُمَّ قَرَأ النَّبِيّ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وسَلَّمَ: {**فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَدًا**}.

وفي «تفسير العيّاشيّ» عن علي بن سالم، عن أبي عبد اللَه عليه السلام قال: قال اللَه تبارك وتعالى: أنَا خَيْرُ شَرِيكٍ؛ مَنْ أشْرَكَ بِي في عَمَلِهِ لَمْ أقْبَلْهُ، إلَّا مَا كَانَ لي خَالِصًا!

قال العيّاشي: وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: أنّ اللَهَ يَقُولُ: أنَا خَيْرُ شَرِيكٍ؛ مَنْ عَمِلَ لي ولِغَيْرِي فَهُوَ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ دُونِي.

وفي «الدرّ المنثور» أخرج أحمد وابن أبي الدنيا وابن مردويه والحاكم وصحّحه، والبيهقيّ عن شدّاد بن أوس قال: سمعت رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم يقول: مَنْ صلّى يُرَائِي فَقَدْ أشْرَكَ، ومَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أشْرَكَ، ومَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أشْرَكَ؛ ثُمَّ قَرَأ: {فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ} (الآية)؛ راجع: (معرفة اللَه، ج ١، ص ٢٤٣). المترجم

المكان الكذائي ورئيس وزراء تايلند ورئيس جمهوريّة الكمبودج؛ فهؤلاء ـ مهما كانوا ـ يُعدّون بمثابة شركاء! لقد فكّر في كلّ هذه الأمور، وفي أنّ رئيس وزراء كذا فعل الخطأ الفلاني، ورئيس جمهوريّة المكان الكذائي ارتكب المخالفة الفلانيّة، والوزير الفلاني فعل هذا الفعل، ووكيل فلان فعل كذا.. أنا أمنح سهمي لهؤلاء، فاذهبوا واضربوا بهذه الصلاة على رأسه، وقولوا له: مبارك عليك هذه الصلاة.. هذه هي العدالة!

يقول أحدهم ـ وكان شخصًا لطيفًا ـ: عندما أصلّي، أنتقل مباشرة عن المكان الذي أصلّي فيه؛ لأنّني أخاف أن يرمي الملائكة بالصلاة على رأسي، فأترك المكان حتى لا تسقط على رأسي، بل أبتعد مترين أو ثلاثة...! يقول اللَه تعالى: أنا أعطي سهمي له؛ هذه هي العدالة، وعدالة اللَه هي هذه: إن ارتكبتَ مخالفة، فالعدالة تكون بحسب ما تقتضيه تلك المخالفة، وإن فعلت شيئًا حسنًا يكون مقابله كذلك؛ هذا فيما يخصّ هذه المسألة، ويبقى أنّه هناك طرف آخر لها؛ وهو عبارة عن فضل اللَه، إذ للَه تعالى صفة

الفضل، وهي تعني الكرم والعفو والزيادة التي تكون فوق ذلك الحقّ وتلك القابليّة؛ فاللَه تعالى يتّصف بهذه الصفة، والعباد الذين عرفوه سبحانه يلتجؤون منذ البداية إلى هذه الصفة، فيقولون: إلهي، لا شغل لنا بعدالتك، وإن كنت تريد أن تُجري عدالتك على أحد الأشخاص، فافعل ذلك، لكن لا تتعامل معنا نحن بعدالتك، فلا علاقة لنا نحن بها! إن كنت عادلاً، فهذا جيّد جدًّا، ونحن لا ننفي ذلك، لكن أليس لديك فضل؟ ألم تصف نفسك بالفضل؟ والفضل يعني الزيادة على العدالة؛ وهي مرتبة الكرم، فكم هو جميل أن يتّصف الإنسان بصفة الفضل، لا بصفة العدل، أفليس ينبغي على الإنسان أن يتّصف بالصفات الإلهية؟!

ينبغي على الإنسان أن يتسمّى بأسماء اللَه، حتّى يُمكنه وضعَ نفسه في مجرى فيض هذه الصفات والأسماء؛ فمن الممكن أن يكون لدينا شخص عادل في هذه الدنيا، والشخص العادل هو الذي يقابل الحقّ بالحقّ، ويجزي الظلم بمقداره دون زيادة ولا نقصان، فهذه هي صفة

العدل؛ وحينما يقال بأنّ المؤمن يجب أن يكون عادلاً، يعني هذا، كما أنّ المعصية تعني العمل المخالف للعدل، والظلم يعني العمل المخالف للعدل، والكذب يعني التكلّم بخلاف العدل، والخيانة فعل شيء مخالف للعدل.. فهذه الأمور كلّها خلاف للعدل والعدالة.

وفي هذا الإطار، لدينا مجموعة من المسائل المرتبطة بالتقليد وجواز تقليد المجتهد، وأنّ المقلَّد يجب أن يكون عادلاً ومتّصفًا بالأوصاف الحميدة، والتي وقع فيها خلاف، حيث ذكر بعضهم بأنّ المراد من الصفات التي تعرّضت لها الروايات هي صفة العدالة فقط، بينما ذكر البعض الآخر أنّ المراد بها صفة فوق صفة العدال؛ وقد وردت هذه المطالب في رسالة الاجتهاد والتقليد للمرحوم الوالد رضوان الله عليه التي طُبعت ونُشرت مؤخّرًا، حيث ذُكرت هذه المطالب هناك، وذكرت هناك بعض المسائل حول ذلك.

الفضل في كلّ شيء هو التعامل فيه بالزيادة

صفة الفضل هي أن يتعامل الإنسان بالزيادة؛ فمن باب المثال، حينما تأتي بعامل إلى المنزل ويشتغل عندك، ينبغي أن تتّفق معه على الأجرة التي سيأخذها، وعندما ينتهي وتريد أن تعطيه أجرته، تقول له: هذا حقّك، ثمّ تزيده شيئًا على ذلك؛ فإن كنت قد أعطيته ما اتّفقت معه عليه، فهذا عدل؛ لأنّك من أوّل الأمر اتّفقت معه على مبلغ معيّن، وعند انتهائه، أعطيته نفس هذا المبلغ، لكن عندما تعطيه شيئًا إضافيًّا، فسوف يفرح به؛ ولدينا في الروايات: إذا اقترضت مالاً من شخص، وأردت أن تعيد المال إليه، أضف إليه شيئًا، لكن لا من باب الربا ـ لأنّه إذا كانت المسألة إلزاميّة، فهي ربا وحرام ـ، بل من تلقاء نفسك؛ فإذا فرضنا أنّك اقترضت منه مائة ألف تومان، فعندما تريد أن توفيه المال بعد شهر، من المستحبّ أن تعطيه إضافة، نعم، هناك مسألة هبوط القيمة الماليّة بواسطة التضخّم؛ وهي مسألة أخرى، حيث يجب على الإنسان أن

يلاحظ عند أداء الدين القيمةَ الماليّة لذاك الدين، لا نفس مقدار الدين الذي اقترضه أوّلاً؛ فهذا كلّه محفوظ في محلّه!

وعليه، فإن استقرض الإنسان ـ من باب المثال ـ مائة ألف تومان، من المستحبّ أن يعطي مائة وعشرة آلاف حينما يريد أن يوفّي المال؛ فيزيد عليه عشرة آلاف أو عشرين ألفًا؛ نعم، من المستحبّ أيضًا للمُقرِض أن لا يأخذ [هذه الزيادة]، لكن يُستحبّ للمستقرض إعطاؤها.

وهذه الزيادة تتعلّق بكلّ شيء؛ فإن أسدى أحدُهم للإنسان عملاً معيّنًا، فليزده على أجرته، وإذا أحسن إليه شخص ما، وأحبّ أن يبادله الإحسان، فليعطه زيادة على ذلك، وإن منحه شخص ما هديّة، فليضف عليها مقدارًا معيّنًا حينما يريد أن يُبادله الهديّة؛ فهذه الإضافة هي الفضل، والفضل من صفات اللَه؛ وهو بمعنى الإضافة والزيادة. فإن تعامل الإنسان في هذا العالم بهذا الشكل، فسوف يتعامل اللَه معه في ذاك العالم بنفس هذا التعامل؛ ولهذا، فلنحاول دائمًا أن يكون تعاملنا على أساس الفضل؛ فإن قال أحدهم للإنسان شيئًا ما ـ كلامًا قاسيًا مثلاً ـ

وكان مخطئًا في قوله، فإن حفظه الإنسان له حتّى يجيبه في وقته، يكون ـ على أقصى تقدير ـ موافقًا للعدالة، وأمّا ما يوافق الفضل، فهو أن يتغاضى عنه؛ فإن قال له شيئًا، فليتغاضى عنه، وكأنّه لم يسمع شيئًا؛ هذا هو الفضل! أو أن يتعامل معه بشكل آخر، فهذا فضل!

أو أن يأتي أحدهم ويعيّره أمام الآخرين، ويكشف له عن عيبه أمام الناس (وهذا الفعل خطأ؛ إذ لا يصحّ أن يُبيّن الإنسان أخطاء الناس أمام الآخرين، فهذا خطأ)، فينتظر أن يخطئ هذا الشخص، أو يبحث له عن عيب، ويضعه في ملفّه منتظراً الفرصة لكي يوفّيه إيّاه؛ فهذا الفعل ليس صحيحًا! بل على الإنسان أن يستخدم الفضل في هذه الحالة ويتغاضى عنه، فذاك قام بهذا الفعل، فعليه أن لا يلتفت إليه! والله تعالى بدوره سيتساهل معه!

إنّ صفة الفضل هذه صفة مهمّة جدّاً، وهي تعني أن لا يتعامل الإنسان مع الله على أساس المقايضة؛ كأن يعمل عملاً معيّنًا، فيتوقّع من الله عملاً آخر.

والناس لديهم هذا النوع من التفكير؛ ففكر الناس قائم على أساس أنّ العمل الذي يقوم به الإنسان، إنّما يقوم به للوصول إلى شيء آخر، وكأنّه لم يحصل شيء معه في هذه القضيّة، حيث يقوم بفعل معيّن ويتوقّع بعد ذلك عملاً آخر؛ كأن يدرس الإنسان لكي يحصل على شهادة، لا أنّه يدرس لأجل العلم نفسه! بمعنى أنّ هذا الدرس الذي يدرسه إنّما يدرسه للحصول على شهادة؛ فهو الآن لا يحصل على أيّ شيء، وبعد شهر لا يحصل على أيّ شيء، وفي السنة القادمة لا يحصل على أيّ شيء، بل سيحصل بعد أربع سنوات على الشهادة التي بدأ بالدراسة لأجلها؛ فالأثر إنّما يحصل بعد أربع سنوات! وأمّا إذا فرضنا أنّ الإنسان يريد الدراسة لأجل الدرس والعلم نفسه، ولا علاقة له بالشهادة ـ فلا يفرق لديه الأمر، سواءً أعطيت له شهادة أم لا ـ، ففي هذه الحالة، سوف يحصل على أثر دراسته ونتيجتها في نفس ذلك الوقت.

علاقة الإنسان بالله تعالى هي علاقة نقد لا نسيئة

إنّ علاقة الإنسان باللَه تعالى هي علاقة نقد لا نسيئة! وهذه مسألة مهمّة، خصوصًا بالنسبة لسلوك الإنسان في طريق اللَه، واطّلاعه على منزلته، وفي أيّة مكانة هو فعلاً؛ فعندما أتينا إلى هذه المدرسة وتعرّفنا على هذه المطالب، هل كان هدفنا أن لا نحصل على شيء أبدًا من المسائل والقضايا التي تحصل معنا الواحدة تلو الأخرى، ثمّ بعد عشر سنوات أو عشرين سنة نحصل على أمر معيّن؟ أم أنّنا بدأنا نأخذ أجرنا من اليوم الأوّل الذي دخلنا فيه إلى هذه المدرسة وبدأنا بالسير فيها واتّباع ممشى العظماء والأولياء الإلهيّين والعرفاء باللَه؟ فالساعة الثانية لها أجرها الخاصّ، وكذلك الأمر بالنسبة للساعة الثالثة؛ فلكلّ ساعة أجرها الخاصّ بها، وهذه المسألة تحصل بشكل نقد، لا نسيئة.

يعتقد الكثير بأنّ المطالب والقضايا التي تحصل بسبب اتّباع الإنسان لطريق العظماء ومدرستهم تحصل نسيئة: افعل هذا الفعل، تجد أثره في ذلك العالم! افعل هذا الأمر، تحصل على نتيجته بعد عشر سنوات! يعني أنّك لن

تحصل الآن على أيّ شيء، وأنّك الآن بمثابة رجل آليّ مؤلّف من بلاستيك ومطّاط وأسلاك معدنيّة وغيرها؛ فلا إدراك لك ولا فكر ولا شعور ولا حسّ ولا ذوق، وجميع هذه الأمور التي تقوم بها ـ ويجب عليك القيام بها ـ سترى نتيجتها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة، وعند ذلك يحصل لك فجأةً شعور وذوق وحال، وأمّا الآن، فأنت كالخشب والجماد؛ كلاّ، هذا غير صحيح! وهذا الفهم خاطئ وباطل من الأساس، وهو مانع من الأوّل عن الحركة والسير.

إنّ الإنسان يحصل على أثر في أوّل خطوة يخطوها وأوّل لحظة يقدُم فيها في الطريق إلى اللَه؛ فلا يوجد شيء آخر! فنفس حضوره في ذلك الآن وتلك اللحظة وذلك المكان هو الجنّة التي سيكون فيها، وهو اللقاء الذي يسعى إليه؛ فلا تتصوّروا بأنّ لقاء اللَه تعالى يحصل بعد خمس أو عشر سنوات، وذلك بأن تتحوّل فجأةً جميع الأمور، وتتغيّر السماء والأرض، بحيث تصير السماء مختلفة وتتغيّر النجوم! كلاّ يا عزيزي، فلقاء اللَه تعالى هو

عبارة عن حالة ربطيّة بين العبد وبين ربّه، غير أنّها تشكيكيّة؛ أي أنّ لقاء اللَه تعالى يحصل في أيّة لحظة بحسب المرتبة التي تحقّقت فيها جنبة التعلّق به سبحانه.

فعندما تشارك في مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وتدخل في ذلك المجلس وتلك الأجواء، ويشرع القارئ بقراءة العزاء، ألا تشعر في نفسك بتغيّر؟ حتمًا تشعر! فهذا أمر بديهي ولا يخفى على أحد! ألا يحصل لنا تغيير؟! فنرى في أنفسنا ذلك ونقول: عجبًا من هذا الحال الذي حصل لي! فما المسألة التي حصلت هنا حتّى حصل لنا هذا التغيير في الفكر والفهم؟ ما الذي اختلف؟ هو دخولنا إلى حريم الإمام الحسين عليه السلام! فعندما ندخل إلى ذاك المجلس، نكون في نفس تلك اللحظة قد دخلنا إلى خيمة الإمام الحسين، لكن دخول كلّ شخص يكون بمقدار إدراكه وفهمه، ولا نقول بأنّ الجميع سواء في ذلك.

فالجميع يذهب لزيارة الإمام الرضا.. أنا وأنت وأشخاص آخرون، لكنّ أحدهم يذهب إلى الإمام الرضا

وينظر أوّلاً إلى القفص، وكم هو مختلف عن القفص السابق، وكم تزيد فضّته وذهبه عن السابق، وكم فيه من النقوش الإضافيّة.. فهذا نوع من الزيارة: زيارةٌ للقفص والفضّة والخشب والحديد! لكنّ بعضهم يزور كزيارة السيّد الحدّاد رضوان الله عليه الذي كان يبدأ بالطواف سبعة أشواط، ويقول: هنا محلّ الطواف الحقيقي! وعندما كان يطوف ـ وكنت في ذلك الوقت في الثالثة عشر من عمري تقريبًا ـ، كنت أرى أنّه في حال مختلف، فعينه تنظر، لكنّها لا ترى شيئًا، فذهنه وفكره وقلبه في مكان آخر.. هذه أيضًا زيارة من نوع آخر!

لكن كم هو الفارق بين هاتين الزيارتين؟ إن قلنا بأنّ الفارق بينهما كالفارق بين السماء والأرض، سيكون قليلاً في حقّ ذلك! وإن قلنا بأنّ الفارق بينهما كالبعد بين المشرق والمغرب، سيكون ذلك قليلاً! بل إنّ الفارق بينهما خارج عن حدود التصوّر! فذاك يزور الفضّة والحجر والخشب، بينما هذا يزور حقيقة الإمام عليّ بن موسى الرضا من دون أيّة واسطة، وبدون أيّ مانع، وبدون

أيّة وسيلة وأيّ رادع ومانع.. يزور هناك النفس المطهّرة للإمام عليّ بن موسى الرضا، ويُعفّر جبينه في تراب تلك العتبة؛ فهذه هي الزيارة التي يقول عنها النبيّ صلّى الله عليه وآله: من زار بضعتي عارفًا بحقّه، فثوابه أكثر من ثواب ألف حجّة وألف عمرة مقبولة،[١] بل أقول بأنّ ثوابها غير قابل للعدّ أصلاً، غير أنّنا نرى بأنّ النبيّ يرفع من الثواب بحسب استعداد الأشخاص وقابليّتهم وميزان

---

[١] قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: تُدفن بضعةٌ منّي بخراسان، من زاره عارفًا بحقّه، كانت له حجّة مبرورة؛ فقالت عائشة: حجّة يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: وحجّتين، فقالت: وحجّتين يا رسول الله؟، فقال: وأربع حجج، فقالت: وأربع يا رسول الله؟ فقال: وسبع حجج، فقالت: سبع يا رسول الله؟ فقال: وسبعين حجّة، فسكتت، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو كرّرت السؤال، لقلت إلى سبعمائة حجّة وسبعمائة عمرة مبرورات متقبّلات (عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٨٢).

[الأمالي للصدوق] الطَّالَقَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ بِخُرَاسَانَ لَبُقْعَةً يَأْتِي عَلَيْهَا زَمَانٌ تَصِيرُ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَا يَزَالُ فَوْجٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وفَوْجٌ يَصْعَدُ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ؛ فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وأَيَّةُ بُقْعَةٍ هَذِهِ؟ قَالَ: هِيَ بِأَرْضِ طُوسَ، وهُوَ واللَهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ؛ مَنْ زَارَنِي فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ، كَانَ كَمَنْ زَارَ رَسُولَ اللَهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكَتَبَ اللَهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ ثَوَابَ أَلْفِ حَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ وأَلْفِ عُمْرَةٍ مَقْبُولَةٍ، وكُنْتُ أَنَا وآبَائِي شُفَعَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ٣١). المترجم

فهمهم وشعورهم وإدراكهم؛ وإلاّ فإنّ ثوابها غير قابل للعدّ من الأساس؛ فإذا زار شخص الإمام الرضا عليه السلام، كم سيعطيه اللَه من الثواب؟ أفهل الإمام الرضا عليه السلام له حدّ؟! وهل منزلته معيّنة؟! وهل مقداره محدّد؟! إنّ الإمام الرضا عليه السلام مطلق وغير متناه، فالزائر يكون قد أدخل نفسه [بزيارته له] في فضاء غير متناه؛ وعندئذٍ، ما قيمة العدد والألف! بل ولو كان ألف مليار، فإنّه يبقى محدودًا! بل ما معنى ذلك من الأساس؛ إذ إنّ الإطلاق هو رفع العدد، واللامتناهي لا يسعه العدد! فمثل هذه الدرجات مختصّة بنا نحن: واحد واثنان وعشرة.. كلّ شخص بحسبه، وبحسب اختلافه عن بقيّة الأشخاص.

حسنًا، فإذا دخل الإنسان بقلبه إلى هذه الأجواء، ما الذي يحصل له؟! وعلى أيّ شيء نطلق اسم الجنّة؟ وعلى ماذا نُطلق اسم النعم الإلهيّة؟ وما الذي نقصده بلقاء اللَه؟ وما هو المراد من القرب والتجرّد؟! إنّ جميع هذه الأمور قد تحقّقت هنا، لكن يختلف الأمر بالنسبة لكلّ واحد

بحسب سعته الوجودية؛ نعم، فالإمام الرضا بحر زاخر يعطي كلّ من يأتيه بحسب استعداده وقابليّته، لا أكثر، وإلاّ فإن أعطاه أكثر، يُصبح ذلك الشخص كن فيكون![1] بل يُعطيه بنفس درجة قابليّته؛ فأحدهم يعطيه بمقدار فنجان، والآخر بمقدار وعاء، وغيره بمقدار قِدر، وغيره بمقدار جرّة.. وأما أولئك الذين شاهدناهم في زيارتهم، فيأخذهم [الإمام عليه السلام] ويغمسهم في بحره؛ فيكون حسابهم مختلفًا عن الآخرين، حيث تخرج المسألة عن ميزان العطاء والكمّية.

ولهذا، لا يمكن لهؤلاء أن يبيّنوا ما يعرفونه عن الإمام الرضا عليه السلام؛ فماذا عساهم أن يقولون؟ هل يُمكنهم أن يفصحوا عمّا شاهدوه وأحسّوا به عند ذهابهم للزيارة؟ وهل يمكنهم التحدّث بذلك؟ لا! بل إنّ هذه الأمور خارجة عن حدود الكلام؛ لأنّ الإمام الرضا عليه السلام خارج بدوره عن حدود الكلام والبيان؛ كما يقول بنفسه: إنّ أوهام عقولكم لا تستطيع الوصول إلى حقيقة

[1] أي يتحوّل بشكل مفاجئ. المترجم

أمرنا![1] فعقولكم كلّها أوهام، وهذه العقول التي تديرون بها الدنيا وتدبّرون بها أموركم المعيشيّة منحصرة في أمور بسيطة ـ كالحمّص واللوبياء والذرة المقليّة والكركم ـ، ولا علاقة لها بنا وبولايتنا، وغير مرتبطة بالحقائق والمكاشفات وأمثال ذلك؛ فهي أوهام بأجمعها!

---

[1] الطَّالَقَانِيُّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَارُونِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ قَاسِمٍ الرَّقَّامِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا فِي أَيَّامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ، فَاجْتَمَعْنَا فِي مَسْجِدِ جَامِعِهَا فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَدَارَ النَّاسُ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي ومَوْلَايَ الرِّضَا عليه السلام، فَأَعْلَمْتُهُ مَا خَاضَ النَّاسُ فِيهِ؛ فَتبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، جَهِلَ الْقَوْمُ وخُدِعُوا عَنْ أَدْيَانِهِمْ؛ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ صلّى الله عليه وآله وسلّم حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ... هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ ومَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ؟ إِنَّ الإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْرًا وأَعْظَمُ شَأْنًا وأَعْلَى مَكَانًا وأَمْنَعُ جَانِبًا وأَبْعَدُ غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ... فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ ويُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ضَلَّتِ الْعُقُولُ وتَاهَتِ الْحُلُومُ وحَارَتِ الْأَلْبَابُ وحَسَرَتِ الْعُيُونُ وتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ وتَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ وتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ وحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ وجَهِلَتِ الْأَلِبَّاءُ وكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ وعَجَزَتِ الْأُدَبَاءُ وعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ ... (بحارالأنوار، ج ٢٥،ص ١٢١ ـ ١٢٤). المترجم

ثواب كلّ شخص على عمله هي الحالة المعنويّة التي يحصل عليها منه

فهذه الحالة التي تحصل لنا تعني الجنّة، وتعني الحصول على الثواب نقدًا! وعليه، فإنّ جنّة كلّ شخص هي نفس تلك الحالة التي يحصل عليها؛ فعندما ندخل إلى مجلس من مجالس الذكر، فبمجرّد أن نضع أنفسنا في تلك الأجواء، نكون قد حصلنا على جنّتنا نقدًا؛ وعليه، فما الذي يريد أن يتعامل عليه الإنسان؟! وما هي المعاملة التي يريد أن يمضيها الإنسان وينتظر حصولها؟ بمجرّد أن تدخل إلى خيمة سيّد الشهداء يعني أنّك دخلت إلى الجنّة! وفي مقابل ذلك، تقول الآية القرآنية: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالْكافِرين}[1]؛ يعني أنّ جهنّم محيطة بتلك الأجواء التي يعيشونها الآن.. تلك الأجواء الظلمانيّة والنفسانيّة، وأجواء النزاعات والاحتيالات، وأجواء التخطيط للإيقاع بهذا وذاك، واتّهام هذا وذاك، وأجواء

---

[1] سورة التوبة (٩)، مقطع من الآية ٤٩ وسورة العنكبوت (٢٩)، مقطع من الآية ٥٤.

الخداع والكذب.. {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ}؛ فلو لم تكن هناك جهنّم، لما كذب ذاك ولما خدع، ولما سرق وأكل مال الناس؛ ولو لم يكن في جهنّم، لما أخذ أموال الناس وفرَّ بها!! إذًا هو في جهنّم، وليس في الجنّة! فهل في الجنّة أشخاص يسرقون أموال الناس ويفرّون بها؟! وهل إنّ من يكون في الجنّة يكذب؟ لا يوجد أيّ تناسب بين الأمرين!

وكلّكم يعلم بقصّة زيد بن حارثة[1] عندما جاء يومًا إلى النبيّ ـ وكان وجهه مصفرًّا ـ، وقال له: لقد وصلت إلى اليقين! فسأله النبيّ: ما علامة يقينك؟ قال: أنا الآن أرى الجنّة، وأرى أهلها.. أنا الآن أرى الأشخاص الذين هم في

---

[1] أورد سماحة السيّد القصّة باسم زيد بن حارثة، و لعلّ المراد هو حارثة بن مالك، فقد ورد في بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٧٤ ما يلي: (أبي، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: استقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان فقال له: كيف أنت ياحارثة؟ فقال: يارسول الله صلّى الله عليه وآله أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا حارثة لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ قال: يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي، وأظمأت هواجري، وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد وضع للحساب، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون، وكأنّي أسمع عواء أهل النار في النار...) كما وردت القصّة في عدّة روايات أخرى تختلف فيما بينها اختلافاً طفيفاً، وفي بعضها لم يذكر اسم الصحابي . المترجم

الجنّة، لا الذين سيدخلونها لاحقًا! أرى الأشخاص الذين هم الآن في الجنّة! وأنا الآن أرى جهنّم، وأرى الأشخاص الذين هم فيها! عجيب جدًّا! علينا أن ننتبه جيدًا إلى مسألة كيف يُمكن أن يكون شخص في حالة، بحيث لا يُصغي إلى كلّ ما يُقال له! ما السبب في ذلك؟ لأنّه في جهنّم! فلم يعُد يسمع، لأنّه في جهنّم! يقول لك: لا يا عزيزي، لا أقبل، ولهذا الدليل وهذا البرهان، فأنا لا أقبل! لماذا لا يقبل؟ لأنّه في جهنمّ، وقد تلبّدت أجواؤه بالظلمة، فصارت الظلمة محيطة به؛ ولهذا، لم يَعُد يُصغي لكلام الحقّ! فما عسى الإنسان أن يقول له؟ حسنًا، تفضّل في أمان اللَه! فما عسانا أن نفعل؟! {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} . وبعد ذلك بدأ [زيد بن حارثة] بإفشاء بعض الأسرار، فأوقفه النبي، وقال له: إلى هنا كان عملك صحيحًا، فلا تفسد علينا الأمور، ودعنا ننجز أعمالنا! قال له زيد بن حارثة: هل تريد أن أخبرك من بين هؤلاء الذين يحيطون بك الآن؛ من هم الذين في جهنّم، ومن الذين في الجنّة؟ فقال له النبي: اسكت! فهنا مكمن الخطر، وقد

بدأت بتجاوز الخطوط الحمراء! وخلاصة القول، أنّنا منحناك بعض الأمور، فلا تفشي الأسرار؛ فالآن وقد حصل لك اطّلاع، عليك أن تتصرّف وكأنّك لم تر شيئًا؛ فلا علاقة لك بالأمر! وهذا عجيب جدًّا![1]

---

[1] ابن محبوب، عن أبي محمد الوابشي وإبراهيم بن مهزم، عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب من الأنصار وهو في المسجد يخفق ويهوي رأسه، مصفر لونه نحيف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يافلان؟ فقال: أصبحت يارسول الله صلى الله عليه وآله موقنا، فقال: فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: وقال له: إنّ لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ قال: إنّ يقيني يارسول الله هو أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون فيها ويتعارفون على الأرائك متّكئين، وكأنّي أنظر إلى أهل النار فيها معذّبون يصطرخون، وكأنّي أسمع الآن زفير النار يعزفون في مسامعي، قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه للإيمان، ثمّ قال: الزم ما أنت عليه، قال: فقال له الشاب: يارسول الله ادع لي أن ارزق الشهادة معك فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلّى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر (بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٧٤-١٧٥). المترجم

ولقد حدث نظير ذلك لمن فُتحت أعينهم؛ ألم تسمعوا أنّ بعضهم كان يرى الأشخاص في صورهم البرزخيّة على شكل حيوانات! فما هي حقيقة هذه الأمور؟ إنّها الجنّة والنار! فهناك من يرى شخصًا بصورة ذئب؛ فهل موطن الذئب هو الجنّة؟! وهناك من يرى شخصًا بصورة خنزير؛ أفهل موطن الخنزير هو الجنّة؟ وهناك من يرى شخصًا بصورة كلب.. نعم، يراه بصورة كلب!

رحمة اللَه على المرحوم المطهّري، فقد جاء يومًا إلى منزلنا ـ حيث كان يأتي مرّة كلّ أسبوع للقاء المرحوم العلاّمة رضوان اللَه عليه ـ، وكان يتحدّث معه؛ ومن الجدير بالذكر أنّني في كثير من الأحيان لم أحضر هذه اللقاءات، حيث كنت مقيمًا في قم، غير أنّني كنت آتي أحيانًا إلى طهران، فتحصل مثل هذه اللقاءات، لكنّني في هذا اللقاء لم أكن متواجدًا بالغرفة؛ لأنّه كان لقاء خاصًّا، وحينما أحضرت لهم الشاي، سمعت المرحوم المطهّري يقول للمرحوم العلاّمة: سمعت من المرحوم آية اللَه السيّد أحمد الخوانساري ـ الذي كان في طهران يؤمّ الصلاة

في مسجد الحاجّ فيض الله، وكان رحمة الله عليه من العلماء الفقهاء ـ أنّه سمع من المرحوم الشيخ حسن علي النخودكي الأصفهاني ـ وهذه عبارة عن سلسلة سند جميعُ أفرادها موثّقون وموجّهون، ويمكنكم أن تنقلوها بدوركم!!! ـ يقول: تشرّفت مرّة بالذهاب إلى العتبات المقدّسة في النجف، وعندما كنت أخرج ظهرًا من حرم أمير المؤمنين عليه السلام، كنت أرى بعض كبار العلماء بشكل خنزير! ولا يخفى أنّه ذكر هؤلاء العلماء بأسمائهم، لكنّني أتحفّظ هنا عن ذكر هذه الأسماء! ولو ذكرتها لكم، لدُهشتم! فما هي حقيقة هذه المسألة؟ وهل يمكننا القول ـ والحال هذه ـ بأنّ هذا الشخص في الجنّة؟ فلا وجود للخنزير في الجنّة، ولا يُسمح له بدخولها! وعلاوةً على ذلك، فقد كان يرى أشخاصًا آخرين على شكل خنازير وأشكال مختلفة أيضًا.

حسنًا، فهذه الحالة التي تحصل للإنسان، هي عبارة عن لقاء الله! وفي الجهة المقابلة، هناك لقاء الشيطان والأبالسة وجنودهم، وهناك الظلمة والكدورة

والنفسانيّات وبقيّة الأمور والمسائل التي يُبتلى الجميع بها، لكن بمقادير متفاوتة.

بناء عليه، متى ما رأيت بأنّه قد حصلت لك حالة معنويّة، حالة نورانيّة، حالة خفّة، وحصل لك توجّه نحو المبدأ، وتريد أن تبكي، وتسعى للحصول على نشاط روحاني، ولم تعُد لديك رغبة بسماع هذا الخبر وذاك، ولم تعُد لديك طاقة على سماع كلام الأشخاص حول ارتفاع قيمة الأسعار أو انخفاضها، فاعلم أنّه قد حصل لك لقاء اللّه في ذلك الوقت، غاية الأمر أنّه محدود بذلك المستوى؛ إذ لدينا مستويات أخرى أعلى من ذلك، وأعلى وأعلى، إلى أن نصل إلى محضيّة لقاء اللّه؛ والتي تُسمّى بمرتبة الفناء، ومرتبة الورود في حرم الذات الإلهيّة؛ وهي مسألة أخرى.

وأمّا إذا شاهدت من نفسك عدم الميل لقراءة القرآن والدعاء، وعدم الرغبة في قراءة أشعار الأولياء كحافظ ومولانا؛ فلا يوجد لديك توجّه، بل كان قلبك يميل نحو سماع الأخبار، وتُحبّ أن يتمّ الحديث عن هذه الأمور، ويدقّ ناقوس الخطر في ذهنك أن: ما هذا الذي يحصل؟!

فعليك في هذه الحالة أن تخرج فورًا من ذلك، وتترك هذه المسائل جانبًا، وتعلم بأنّك صرت تبتعد عن مسألة لقاء اللّه؛ لأنّك بدأت بالميل نحو الظلم، وبالارتباط بتلك الجهة والشوق إليها؛ فقم سريعًا بقطع ذلك، ولا تترك هذا الأمر يتمكّن منك، وهذه الكدورة تترسّخ وتتصلّب لديك.. قِ نفسك من كلّ ذلك!

{إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا} [1]، علينا أن نستحضر دائمًا هذه الآية القرآنية التي تتحدّث عن طائف من الشيطان؛ فالطائف يعني الذي يطوف ويحوم.. يُقال بأنّ الطائر عندما يأتي، يحوم ويحوم إلى أن يجد غصنًا فيحطّ عليه؛ هذا الذي يُقال له طواف، فيبقى الطائر يطوف إلى أن يجد غصنًا أو مأمنًا يحطّ فيه؛ كذلك الأمر عندما تأتي الشياطين، حيث يظلّون يطوفون حول قلب هذا الإنسان المؤمن ويرغبون بالتسلّل إليه، فيشعر سريعًا بذلك، فيردّهم.. {تذكّروا}؛ أي التفتوا إلى الأمر، وتجاوزوه؛ فما إن يجدوا شخصًا يريد أن يستغيب، ويبدأ بالحديث حول

---

[1] سورة الأعراف (٧)، مقطع من الآية ٢٠١.

فلان... هل سبق لكم رؤية ذلك؟ فأحيانًا يكون الإنسان جالسًا، فيبدأ أحدهم بالحديث عن شخص آخر، فيتكلّم، ويتكلّم، ويتكلّم، إلى أن يجد الإنسان في نفسه ثقلاً! يا عزيزي، لماذا تسمح بحصول ذلك؟ لا تستمع إلى ذلك الكلام، وقم من مكانك، أو غيّر الموضوع: «كم قيمة كيلو من الخضر؟! بكم كيلو الخبز؟»، ولا تدع المسألة تصل إلى هذا الحدّ؛ لأنّه يوجد بعض الأشخاص البطّالين الذين يقصرون فكرهم وذكرهم على التحدّث بهذه الأمور الفارغة، فيُساهمون بذلك في التشويش على الإنسان. أو من باب المثال، أن تكون جالسًا، فيتّصل بك شخص هاتفيًّا، ويقول لك: هل سمعت ماذا قال فلان؟ فتقول له: لا، لم أسمع! فيقول لك: حتّى أنت لم تسمع.. لقد قال كذا وكذا! فإذا ما شعرت بأنّ هذه الأمور قد توجب لك الكدورة، قل له: دع عنك هذا الكلام الآن! فإذا قال لك: اسمح لي بإكمال الحديث! قل له: إمّا أن تغيّر الكلام، وإمّا سأقفل الخطّ!

على الإنسان أن يكون ذكيًّا ومنتبهًا على الدوام، وأمّا إذا تماديت في الاستماع، وعمدت إلى مداراة المتكلّم، وأرخيت سمعك له، فإنّك ستكون قد فقدت شيئًا من نفسك، وسوف يُقطع جزء منك! فلا تدعه ينقطع، ولا تدع رأس المال الذي منحك الله إيّاه يذهب هدرًا؛ فهذا يأخذ شيئًا منه، وذاك يأخذ شيئًا! فماذا سيبقى لك؟ بل احفظه! وعليك أن تكون مستقيمًا، وواقفًا على باب قلبك لتحرسه؛ يقول المرحوم السيّد الحدّاد رضوان الله عليه: على السالك أن يقف على باب قلبه، ولا يدع أيّ غريب أو غير محرم يرد إليه؛ فالقلب عرش الرحمن، وبيت الله؛ فلا ينبغي للإنسان أن يدع غير الله يدخل إلى بيت الله.

حسنًا، لقد وصل بنا الحديث إلى هذا الموضع، وإن شاء الله نوكل تتمّة هذه المطالب إلى الجلسات القادمة بإذنه تعالى.

اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد.